

أضواء البيان

@ 41 @ .

وقال بعضهم : من فوقهن أي كل سماء تتفطر فوق التي تليها . .
وقال الزمخشري في الكشاف : فإن قلت لم قال : { مِنْ فَوْقَ قِهْنٍ } قلت : لأن أعظم الآيات وأدلتها على الجلال والعظمة فوق السماوات ، وهي العرش والكرسي ، وصفوف الملائكة ، المرتجة بالتسيح والتقديس حول العرش ، وما لا يعلم كنهه إلا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى ،
فلذلك قال : { يَتَفَطَّرُونَ مِنْ فَوْقَ قِهْنٍ } أي يبتدء الانفطار من جهتهن الفوقانية . . .

أو لأن كلمة الكفر جاءت من الذي تحت السموات ، فكان القياس أن يقال : يتفطرن من تحتهن من الجهة التي جاءت منها الكلمة . .
ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في وجهة الفوق . كأنه قيل : يكدن يتفطرن من الجهة التي فوقهن ، دع الجهة التي تحتهن . .

ونظيره في المبالغة قوله عز وجل { يُصَِّبُ مِنَ فَوْقٍ رُءُوسَهُمْ أَلْحَمِيمُ
يُصَِّبُ بِهِ مَاءً مِثْلَ طُورِ سَيْمُومٍ } فجعل الحميم مؤثراً في أجزائهم الباطنة اله . محل
الغرض منه . .

وهذا إنما يتمشى على القول بأن سبب التفطر المذكور هو افتراؤهم على الله في قولهم {
اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا} . .

وقد قدمنا آنفاً أنه دلت عليه آية مريم المذكورة وعليه فمناسبة قوله : {
وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ } لما قبله أن الكفار وإن قالوا أعظم
الكفر وأشنع ، فإن الملائكة بخلافهم فإنهم يداومون ذكر الله وطاعته . .

ويوضح ذلك قوله تعالى : { فَإِنَّ اسْتَكْبَارُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ } وقوله تعالى : {
فَإِنَّ يَكْفُرُ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدُوا وَكَلَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا
بِكَافِرِينَ } ، كما قدمنا إيضاحه في آخر سورة فصلت . قوله تعالى : { أَلَا إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } . أكد جل وعلا في هذه الآية الكريمة ، أنه هو
الغفور الرحيم ، ويبين فيها أنه هو وحده المختص بذلك .